مظاهر علاقة العنف اللغوي بخطاب التطرف المعاصر، قراءة تفكيكية.

إعداد
سالم علي أحمد المرر الكعبي
باحث دكتوراه
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية – أبوظبي

ملخص البحث

يبحث هذا العمل في العنف اللغوي داخل الخطاب الراديكالي بوصفه بنية دلالية مغلقة تعيد تشكيل الإدراك، وتصنع واقعًا خطابيًا يُقصي البدائل ويُنتج الحتميات الفكرية. يُحلّل البحث آليات العنف اللغوي، ودوره في إعادة ترميز المفاهيم، وصناعة القطيعة الفكرية، واستقطاب المتلقي داخل منظومة إدراكية مغلقة تمنع التفكير النقدي.

يكشف البحث كيف يُحوّل الخطاب الراديكالي اللغة إلى أداة للتعبئة والإلزام، من خلال التلاعب بالزمن الخطابي، وصياغة الهوية الجماعية، وتبرير العنف الرمزي والمادي .كما يُبرز العلاقة بين العنف اللغوي والعنف السلوكي، موضحًا كيف يُهيئ الأول الأرضية للثاني عبر استراتيجيات خطابية تُنتج شرعية للصدام.

توصل البحث إلى أن العنف اللغوي لا يقتصر على المفردات، بل يعمل على هندسة الإدراك، وخلق زمن إدراكي مغلق، وتعزيز الاستقطاب الفكري .ويفتح البحث آفاقًا جديدة لدراسة أثر الخطاب الرقمي، ودور الترجمة في نشر المفاهيم الراديكالية، واستراتيجيات تفكيك الإقناع القسري داخل هذا الخطاب.

الكلمات المفتاحية: العنف اللغوي - الخطاب الراديكالي – الاستقطاب - الحتميات الخطابية

Abstract

This study examines linguistic violence within radical discourse as a closed semantic structure that reshapes perception, constructs a discursive reality that excludes alternatives, and generates ideological determinism. The research analyzes the mechanisms of linguistic violence, its role in redefining concepts, creating ideological rupture, and drawing the audience into a closed cognitive framework that suppresses critical thinking.

The study reveals how radical discourse transforms language into a tool for mobilization and coercion by manipulating discursive time, shaping collective identity, and legitimizing both symbolic and physical violence. It also highlights the link between linguistic violence and behavioral violence, illustrating how the former lays the groundwork for the latter through rhetorical strategies that produce legitimacy for conflict.

The research concludes that linguistic violence is not confined to vocabulary but operates as a system for shaping cognition, constructing a closed temporal perception, and reinforcing ideological polarization. It opens new avenues for exploring the impact of digital discourse, the role of translation in disseminating radical concepts, and strategies for dismantling coercive persuasion within radical rhetoric.

Key words: Linguistic Violence - Radical Discourse -Cognitive Polarization - Discursive Determinism - Conceptual Restructuring

المقدمة

تُعدّ اللغة من أبرز الأدوات التي يُبنى بها الخطاب، فهي ليست مجرد وسيلة لنقل المعاني، بل إطارٌ يُوجّه الإدراك ويُعيد تشكيل الفهم وفق أنساق معرفية مخصوصة. وعبر التاريخ، ظلّ الخطاب مجالًا للصراع على تشكيل الوعي، حيث تتجلى قوته ليس فقط فيما يقوله، بل في ما يُخفيه، وما يُعيد تعريفه، وما يُقصيه من دوائر الشرعية والمعقولية. وإذا كان الخطاب، في جوهره، بنيةً تحمل دلالاتها من خلال التفاعل مع السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية، فإن الخطاب الراديكالي يكتسب خصوصيته من اعتماده على إنتاج لغة تُؤسّس للتمايز والصدام، وتحمل داخليًا نزعةً إلى الإقصاء والتعبئة وفق رؤية مغلقة للواقع.

في هذا الإطار، يُطرح العنف اللغوي بوصفه عنصرًا بنيويًا في الخطاب الراديكالي، لا يقتصر على مستوى المفردات أو التراكيب، بل يتجاوز ذلك إلى تشكيل منظومة دلالية متكاملة تُعيد بناء المفاهيم، وتُوظف اللغة في إنتاج واقعٍ موازٍ يُعيد تعريف السلطة، والشرعية، والانتماء. ومن هنا تأتي أهمية البحث في العلاقة بين الخطاب الراديكالي والعنف اللغوي، عبر استكشاف آليات التشكيل اللغوي لهذا الخطاب، وكيفية اشتغاله على مستوى التأثير الإدراكي، وتحديد الأدوار التي يلعبها في بناء السرديات الفكرية وتحريك الانفعالات وتوجيه السلوك.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كشف الدور البنيوي للعنف اللغوي في الخطاب الراديكالي، ليس بوصفه مجرد وسيلة تعبير عدائية، بل كأداة لإعادة تشكيل الإدراك وصياغة الواقع وفق أنساق دلالية مغلقة. ويتيح البحث فهم الآليات الخطابية التي توظّف العنف اللغوي لإنتاج القطيعة الفكرية، وخلق الحتميات الخطابية، وإعادة ترميز المفاهيم المركزية، مما يسهم في تفكيك المنظومات الراديكالية وكشف بنيتها العميقة، ويمهّد لبناء مقاربات تحليلية قادرة على تحييد تأثيرها في تشكيل الوعي الجماعي وتوجيه السلوك.

إشكالية البحث:

تتحدد **الإشكالية المركزية** للبحث في دراسة الدور البنيوي للعنف اللغوي في الخطاب الراديكالي، والآليات التي يعتمدها لإعادة تشكيل الإدراك، ومدى تأثيره في خلق بيئة إدراكية مغلقة تُنتج القطيعة والاستقطاب. وتتفرع عن ذلك الأسئلة البحثية الآتية:

1. كيف يتجلى العنف اللغوي في الخطاب الراديكالي بوصفه **بنية دلالية** تُعيد إنتاج المعاني وفق رؤية أيديولوجية مغلقة؟
2. ما الآليات التي يستخدمها العنف اللغوي في **إعادة ترميز المفاهيم** (كالشرعية، والهوية، والانتماء) لتوجيه المتلقي نحو قناعات صارمة؟
3. كيف يُسهم العنف اللغوي في **خلق حتميات خطابية** تمنع التفكير النقدي، وتفرض على المتلقي رؤية صدامية للعالم؟

4. ما دور العنف اللغوي في **بناء الزمن الإدراكي المغلق** داخل الخطاب الراديكالي، وكيف يُعاد توظيف الماضي والمستقبل لإنتاج تعبئة نفسية دائمة؟
5. كيف يتحوّل العنف اللغوي من **أداة خطابية إلى آلية نفسية** تُعيد برمجة الإدراك الجمعي، وتُهيئ المتلقي لتطبيع العنف الرمزي والمادي؟

إن تفكيك هذه الإشكالية يقتضي تحليل العنف اللغوي داخل الخطاب الراديكالي **ليس بوصفه مجرد وسيلة لغوية، بل باعتباره منظومة دلالية تعمل على إنتاج الاستقطاب وإعادة هندسة الوعي**، مما يجعل دراسته ضرورية للكشف عن بنيته وآليات تأثيره العميقة.

الدراسات السابقة:

- **عتبات العنف: كيف ينشأ الإرهاب من خلال اللغة؟**، محمد بن سعد الدكان، مجلة العلوم العربية، العدد:41، شوال، 1437ه. تناولت الدراسة العلاقة بين **اللغة والخطاب الراديكالي**، مركّزة على كيفية نشوء **الإرهاب من خلال العتبات النصية**، مثل بيانات التأسيس والخطابات الإعلامية للتنظيمات المتطرفة، مع تحليل بنيتها الدلالية وآليات التأثير الخطابي. يلتقي البحث الحالي مع هذه الدراسة في دراسة **العنف اللغوي كأداة لصياغة الوعي والإدراك داخل الخطاب الراديكالي**، لكنه يختلف عنها في تركيزه على **تفكيك البنية اللغوية للعنف، وتحليل استراتيجياته في إعادة ترميز المفاهيم وإنتاج الحتميات الخطابية**، مما يجعله أكثر تعمقًا في **دراسة العنف اللغوي بوصفه منظومة إدراكية مغلقة داخل الخطاب الراديكالي**.

- **ظاهرة العنف اللغوي في الميزان الشرعي، المشكلات والحلول، حياتي شهريل**، مجلة: *ISLAM REALITAS: Journal of Islamic & Social Studies*، العدد: 2، المجلد:1، يناير-يونيو 2016،

تلتقي الدراسة السابقة مع البحث الحالي في تناول **العنف اللغوي كظاهرة خطابية مؤثرة في المجتمع**، مع التركيز على **أبعاده القانونية والتشريعية** وفق المنظور الإسلامي. غير أن البحث الحالي يختلف عنها في كونه لا يقتصر على التصنيف الفقهي أو الأحكام الشرعية، بل يتعمّق في **بنية العنف اللغوي داخل الخطاب الراديكالي**، محللًا **آلياته الدلالية، واستراتيجياته في إعادة تشكيل الإدراك، وإنتاج الحتميات الخطابية**، مما يجعله دراسة **تأويلية نقدية** تتجاوز البعد الفقهي إلى **تفكيك بنية التأثير والاستقطاب** داخل الخطاب الراديكالي.

- **العنف اللغوي في الخطاب السياسي المغربي: دراسة في أيديولوجيا الشتم السياسي من خلال أفعال الكلام**، محمد همام، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المجلد:4، العدد:15، 2016. تناولت الدراسة كيف يتحول الخطاب السياسي إلى **أداة تأثير وإلزام** تُعيد تشكيل الإدراك والسلوك داخل المجال التداولي. يلتقي البحث الحالي مع هذه الدراسة في تحليل **العنف اللغوي كبنية خطابية** تُوظَّف لإنتاج القطيعة والاستقطاب، لكنه يختلف عنها في تركيزه على **الخطاب**

الراديكالي تحديدًا، متجاوزًا البعد السياسي إلى تفكيك **الآليات الدلالية التي تُعيد ترميز المفاهيم وتنتج الحتميات الخطابية،** مما يجعله بحثًا **أكثر عمقًا في دراسة العنف اللغوي بوصفه منظومة إدراكية مغلقة.**

- تأثير العنف اللغوي على المتلقي من خلال وسائل الإعلام، سفيان محمد الأمين، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، تخصص اللغة والإعلام، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2015. تناولت الدراسة دور وسائل الإعلام في نشر العنف اللغوي وتأثيره على تشكيل الإدراك والسلوك، خاصة لدى الفئات الأكثر تأثرًا كالطفل والمراهق. يتقاطع البحث الحالي معها في دراسة **العنف اللغوي كأداة تأثير وإعادة برمجة الإدراك،** لكنه يختلف عنها في تركيزه على **البنية الخطابية للعنف اللغوي داخل الخطاب الراديكالي،** محللًا **آلياته الدلالية، واستراتيجياته في إنتاج الحتميات الخطابية، وخلق القطيعة الفكرية،** مما يجعله بحثًا أكثر عمقًا في تفكيك **العنف اللغوي كمنظومة إدراكية مغلقة.**

خطة البحث:

انتظم البحث في العناصر الآتية:

مقدمة:

المبحث الأول: تعريف الخطاب الراديكالي

المبحث الثاني: بنية الخطاب الراديكالي والعنف اللغوي

المبحث الثالث: تعريف العنف اللغوي

خاتمة وتوصيات

المبحث الأول: تعريف الخطاب الراديكالي

يتسم مصطلح "الخطاب" بمرونةٍ دلالية تجعل معانيه متعددة ومتغيرة وفقًا للحقل المعرفي الذي يُستخدم فيه. فقد تطور المفهوم من كونه مجرد وسيلة للتعبير أو التواصل في السياقات اللغوية البسيطة إلى أن أصبح أداةً فكرية معقدة تعكس نظم المعرفة والسلطة، وتؤثر في تشكيل الوعي والفعل الإنساني.

إن التداخل بين المعاني اللغوية والفلسفية والاجتماعية والسياسية للخطاب يعكس طبيعته المركبة، حيث يتجاوز كونه مجرد أداة لغوية ليصبح إطارًا يحكم الفكر والاتصال الإنساني. ومن هنا، تأتي أهمية دراسة الخطاب باعتباره مفهومًا مركزيًا في فهم التحولات الفكرية والثقافية، وكذلك في تحليل الأيديولوجيات والنظم المعرفية.

المطلب الأول: الخطاب

الفرع الأول: تعريف الخطاب لغة:

ينبغي أن نستحضر حال تعريف الخطاب لغة، أن هذا المصطلح تناولته معاجم المتقدمين واستحضرته في سياقات متنوعة تتسم بنوع من توسيع المعنى، وبيان ذلك:

جاء في لسان العرب لان منظور (711ه): " خطب: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وَقِيلَ: هُوَ سَبَبُ الأَمْر. يُقَالُ: مَا خَطْبُك؟ أَي مَا أَمرُكَ؟ وَتَقُولُ: هَذَا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. والخَطْبُ: الأَمر الَّذِي تَقَع فِيهِ المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن"[1].

وعند أبي البقاء الكفوي: " الْخطاب: خاطبه: وَهَذَا الْخطاب لَهُ، لَا خَاطب مَعَه وَالْخطاب مَعَه إِلَّا بِاعْتِبَار تضمين معنى المكالمة وَهُوَ الْكَلَام الَّذِي يقْصد بِهِ الإفهام. وَلَفظ (الْمُخَاطب) لم يوضع لمخاطب يتَوَجَّه إِلَيْهِ الْخطاب بِلَفْظ الْمُخَاطب، بِخِلَاف (أَنْت) بل هُوَ، وَكَذَا لفظ (الْمُتَكَلّم) موضوعان لمفهومهما لَا لذاتهما فِي الْأَحْكَام. والْخطاب: اللَّفْظ المتواضع عَلَيْهِ الْمَقْصُود بِهِ إفهام من هُوَ متهيئ لفهمه احْتَرز " باللَّفْظِ " عَن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة و " بالتواضع عَلَيْهِ " عَن الْأَلْفَاظ الْمُهْمِلَة، و " بِالْمَقْصُودِ بِهِ الإفهام " عَن كَلَام لم يقْصد بِهِ إفهام المستمع فَإِنَّهُ لَا يُسمى خطابا، وَبِقَوْلِهِ: " لمن هُوَ متهيئ لفهمه " عَن الْكَلَام لمن لَا يفهم كالنائم، وَالْكَلَام يُطلق على الْعبارَة الدَّالَّة بِالْوَضْعِ وعَلى مدلولها الْقَائِم بِالنَّفسِ، فالخطاب إِمَّا الْكَلَام اللَّفْظِيّ أَو الْكَلَام النَّفْسِيّ الموجه نَحْو الْغَيْر للإفهام"[2].

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): «الخطب: الشأن، والخطب: الحال، والأمر صغر أو عظم. والخطب: الأمر الذي يقع فيه المخاطبة.. والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام». وقال في موضع آخر: «والخطاب هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام..."

---

(١) - لسان العرب، 360/1

(٢) - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الفرع الثاني: تعريف الخطاب اصطلاحا

عرف مفهوم الخطاب في الفكر العربي الإسلامي حركة دائمة في مراحل تكونه إلى أن بلغ مستوى يتجاوز فيه كونه مجرد تعبير بسيط إلى كونه منظومة معرفية متكاملة ومتفاعلة العناصر لغويا، ودلاليا، وسياقيا، وسواء في ذلك أهل اللغة، أم أهل الأصول، أم أهل الكلام والفلسفة.

أ- عند المتقدمين:

- أهل اللغة:

يعرف ابن جني الخطاب بأنه: **"لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الجمل المستقلّة بأنفسها الغنيّة عن غيرها، والكلام واقع على الجمل دون الآحاد، والكلام أيضا عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصنعة الجمل على اختلاف تراكيبها"**[3].

- أهل الكلام والفلسفة:

وفي مجال علم الكلام والفلسفة، سيعرف الخطاب أبعادا جديدة، نقلته من أداة للفهم، إلى آلية إقناع وحجاج، وجعلته أساسا تداوليا للبناء العقلي والمنطقي، وذلك حين يعد المتكلمة الخطابا معنى أبعد من مجرد النطق، وهو ما يقرره الرازي حين يشترط القدرة التامة للمرء على تبليغ ما في النفس، وإفهام ما يدور في العقل، وهو ما يتحقق به معنى فصل الخطاب الذي يرى أنه **"عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ كُلِّ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ويحضر في الخيال"**[4].

ب – عند المعاصرين[5]**:**

في العصر الحديث، لم يخرج مفهوم الخطاب عن دلالته الكلاسيكية عند المتقدمين، ومن أبسط الأدلة على ذلك ما المعجم الوسيط الذي عرف الخطاب بأنه" المخاطبة والمحادثة، أو توجيه الكلام إلى شخص ما"، وهو تعريف يعكس تمثلات عن طبيعة الخطاب باعتباره وسيلة للتواصل والإفهام والتفاعل اللغوي المباشر بين أطراف الخطاب.

غير أن هذا التعريف يبقى محصورا ومحدودا في تفسير الدلالات الحديثة التي أضفيت على الخطاب، وخاصة مع انفتاح الفكر العربي على الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، وهو ما أنتج واقع تحد يلزم بالتلاؤم والمواءمة المنهجية والفكرية تفرضها الترجمة والتعريب، وهو ما جعل الخطاب يشمل دلالات جديدة تتعلق بتفاعل النصوص مع السياقات الاجتماعية والثقافية.

---

[3]- ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية،1952، ص: 17/1.

[4] - الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420، 76/26.

[5] - سيقتصر البحث في هذه الجزئية على البعد الفلسفي، دون أن يتعداه إلى البعد اللساني الحديث؛ لأن الغاية هي ما يخدم سياق الموضوع وليس التفرع والتشعيب.

وينبغي التأكيد على أن "الخطاب" في المفهوم الغربي متأثر بجذوره الفلسفية والتاريخية، وبتطور المعرفة وتحوّلات الفكر الحديث، تأثر لم يكن الفكر العربي الحديث بمنأى عن الاصطباغ ببعض ملامحه، حيث أُعيدت صياغة المصطلحات بأسلوب يعكس المحمولات الغربية أكثر مما يحافظ على جذورها العربية. وقد أدى هذا إلى ما وصفه بعض النقاد بـ"الإقصاء الاصطلاحي"[6]حيث انحسرت المحمولات العربية التقليدية للخطاب لصالح دلالات جديدة مستمدة من الفكر الغربي.

يبدأ مفهوم الخطاب في الفكر الغربي مع أفلاطون الذي كان يطلق عليه لفظ "المقال"[7]، حيث كان يُوظَّفه أداة حجاجية عقلانية ومنطقية لتوجيه الفكر نحو الحقيقة عبر الجدل الفلسفي. وفي عصر النهضة، سيكون للفيلسوف الفرنسي ديكارت ***DESCART*** دور في إعادة تشكيل مفهوم الخطاب من خلال كتابه **"مقال في المنهج"** الذي مثل تأسيسا لرؤية معرفية جديدة[8]، ليعرف "الخطاب" تطورا وتحولا إبستيمولوجيا مع ميشيل فوكو ***MICHEL FOUCOUT***، والذي جعل "الخطاب" شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز الكيفية التي ينتج بها الكلام كخطاب[9]، وهو ما يعني أن الخطاب عنده **"لم يعد طريقة للتعبير أو حديثا متساوقا، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلا لذات واعية"**[10]، وهو ما يعني بالنسبة لفوكو نفي استقلالية الخطاب، لكونه "صورة إدراكية لا شعورية ذات طابع فكري محض، تنمو وتتطور وفق إبستيمي داخلي مخصوص، يشمل مجموعة من الأفراد داخل المجتمع، يشتركون في جملة من الأهداف والمصالح، ويمثلون نسيجا سوسيوثقافيا متميزا داخل المجتمع الإنساني في لحظة تاريخية محددة"[11].

الخلاصة أن المنظور العربي للخطاب كان يُركّز على البلاغة والنصوص كأدوات للإفهام والتواصل، ليتحول إلى التصور الغربي الأكثر تعقيدًا، حيث أصبح يُنظر إليه باعتباره مجال تفاعل بين الإنسان والمعرفة ومستويات السلطة اللغوية والسياسية

---

[٦] - إبراهيم، عبد الله، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ص: 117.

[٧] - زيادة، معين، الموسوعة الفلسفية الغربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986، 771/1.

[٨] - طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987، ص:432.

[٩] - بوقرة، نعمان، المصطلح اللساني النصي، أعمال ملتقى اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، الجزائر، ص: 243

[١٠] - فوكو، ميشال، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1968، ص:78.

[١١] - منسي، عبد العزيز وعطية، يوسف، خطاب المنهج وفتوحات الإبستيمي في الفكر الفوكوي: مراجعة نقدية، مجلة النص، المجلد العاشر، العدد 01، السنة 2024، ص:308.

والاجتماعية، وهو ما يمكن أن يصنف داخله نوع من الخطاب سيرتبط لاحقا بما سيسمى بالخطاب الأيديولوجي.

المطلب الثاني: تعريف الراديكالي

"الراديكالي" نسبة إلى "الراديكالية"، وهو مصطلح يعني العودة إلى الأصول والجذور، والجذر اللغوي لمصطلح الراديكالية يعود إلى الكلمة اللاتينية ***radicalis*** من ***radix*** بمعنى "الجذر"، وتأمل المعنى في القاموس التاريخي الفرنسي يفيد أن المقصود هو البحث عن الأسس الأولى مع التعمق إلى أقصى الحدود[12].

وتحت تأثير التفاعل اللغوي للغات اللاتينية الأوروبية، انتقلت الكلمة إلى الفرنسية والإنجليزية، حيث اكتسبت معاني إضافية تعكس التحول أو التغيير الجذري. الفعل الفرنسي ***radicaliser***، المستمد من الفعل الإنجليزي ***to radicalize***، يُستخدم للإشارة إلى "جعل الأمور أكثر تطرفًا"، بينما صيغته الانعكاسية ***se radicaliser*** تشير إلى تحول فرد أو جماعة نحو مواقف أكثر تصلبًا[13]، ليصبح المصطلح بعدها ذا حمولة سياسية ترتبط بالحركات السياسية الساعية إلى التغيير الجذري للنظام القائم في المجتمع، سواء في ذلك الحركات ذات الطابع الفكري والسلمي، أم الحركات ذات التوجه الثوري العنيف، وخاصة الحركات اليسارية التي أصبح مصطلح ***radicalisme*** يختص بها دون غيرها، ومع انحسار المد اليساري، أصبح المصطلح أكثر ارتباطا بالحركات الدينية وخاصة الإسلامية[14] التي تنتمي إلى منظومة فكرية أو إيديولوجية تدعو إلى تغييرات جذرية وعميقة في المجتمع[15]، وعادةً ما تستند إلى تصور بأن النظم أو الهياكل القائمة تعاني من خلل كبير أو أنها ظالمة. وترى الراديكالية أن تحقيق هذه التغييرات لا يمكن أن يتم إلا من خلال وسائل ثورية أو تحولات جذرية، وليس عبر الإصلاحات التدريجية[١٦].

---

[١٢]- *Rey A. (sous la dir.), Tomi, M., Hordé, T. et Tanet, Ch., A – E. Dictionnaire historique de la langue, française, Tome 1, Paris, Le Robert, 2006 ;*

[١٣]- *Mine, Benjamin et autres, La Radicalité Verbalisée, Analyse du discours de personnes radicales à Propos de leur engagement et de leur(s) expérience(s) avec les autorités. Nationaal Instituut voor Criminalistiek en Criminologie Institut National de Criminalistique et de Criminologie, Bruxelles, p :8.*

[١٤] - ما يثبته البحث هنا من باب الوصف لا من باب الإقرار، لأنه وإن كانت الحركات الإسلامية قد تدخل وصفا وحتى فعلا ضمن التوصيف الراديكالي، فإن البحث لا يربط التطرف والعنف الذي يتناوله بسياق الدين الإسلامي خاصة أو الدين بمفهومه الشامل.

[١٥] - الجراري، فتحي، من أجل استراتيجية عربية لمكافحة التطرف العنيف والفكر المتشدد ومعالجة آثارهما، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2020

[١٦]-*"Radicalism." Vocabulary.com https://www.vocabulary.com/dictionary/radicalism .Accessed 12 Apr. 2024*

.عشور، عبد الكريم، الراديكالية والتطرف: مقاربة مفاهيمية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ، تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2024. *https://www.almesbar.net*

وهذا الصنف من الحركات، هو موضوع هذا البحث، وبالتالي لن يكون من باب الإخلال قصر التناول عليها، باعتبارها "يُهيمن داخلها خطاب رفضيّ راديكاليّ من خصائصه ادّعاء امتلاك الحقيقة الدينيّة وتَوَهّمُ التطابق مع النصّ المقدّس ... إنّه خطاب تحرّكه انفعاليّة حادّة على صلة بردود الفعل الغاضبة وسيكولوجيا الغربة والانتقام وهوس الغلبة والاستيلاء على السلطة"[17].

غير أن مفهوم الراديكالي رغم كثرة تداوله في أدبيات البحث العلمي والسياسي والأمني والاجتماعي، فإنه لم يستقر له تعريف، خاصة وأنه تتجاذبه مفاهيم أخرى تستغرقه أحيانا، أو تحل محله في السياقات، وذلك كمفهوم الأصولية والصحوة والإرهاب والتطرف[18]، وبالتالي فكل جهد لتعريف الراديكالي إنما يكون مرتبطا بخلفيات القائم به ومرجعياته، وهذا ما يؤكده الجراري حين يقول: "ويمكن تعريف "الرّاديكالي" بصيغ متنوّعة تبعا للظرف السائد. ففي بعض السّياقات، قد يشير المفهوم بكل بساطة إلى "من **يريد التسبّب بتغييرٍ سياسي**". وفي سياق الجهود الرامية إلى منع التطرّف العنيف، يُستخدم مصطلح" الراديكالية" بشكل شائع لوصف العمليّات التي يعتمد الشخص من خلالها وجهات نظر أو ممارساتٍ متطرّفة إلى حدّ تشريع استخدام العنف أو تبريره. والمفهوم الأساسي هنا هو **عمليّة تبني العنف**. فإذا أردنا أن نشير إلى العمليّة التي يصبح الشخص من خلالها متطرّفا عنيفا، فستكون عبارة" الرّاديكالية **المؤدّية إلى العنف**" ملائمة أكثر من" التطرّف العنيف"[19].

المطلب الثالث: تعريف الخطاب الراديكالي من وجهة نظر البحث

يتبين من المطالب السابقة أن الخطاب الراديكالي منظومة دلالية شاملة تتجاوز النصوص إلى التفاعل مع السياقات الاجتماعية، الثقافية، والسياسية التي تحيط بها، وهذا يعني حسب فلسفة فوكو[20] أن الخطاب لا يكون خطابا إذا نظر إليه باعتباره مجرد نصوص منفصلة أو أدوات تعبيرية، وإنما لا تضفى على منتوج كلامي صفة الخطاب إلا إذا كان إطارا ينتج المعاني والدلالات من خلال علاقات السلطة والمعرفة التي تعيد تشكيل الفكر والواقع. ضمن بنية متكاملة تدمج بين النصوص وسياقاتها، حيث لا ينفصل عن المعطيات الخارجية التي تمنحه معناه ووظيفته.

كما اتضح أن الراديكالية حركة فكرية تسعى إلى إحداث تغييرات جذرية وشاملة، انطلاقًا من رفض الأنظمة والقيم السائدة. ورغم تنوع الرؤى حول الراديكالية بين التركيز على

---

[17] - ثابت، الطاهر، مداخل في مقاربة مشكلة الإرهاب، قلمون، المجلة السورية للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، السنة 2018 (119-151)، ص: 144.

[18] - أبو الرب، صلاح الدين محمد، السياسة الإسلامية والإسلام السياسي، دار الخليج، الإمارات العربية المتحدة، 2017، ص:113.

[19] - من أجل استراتيجية عربية لمكافحة التطرف العنيف والفكر المتشدد ومعالجة آثارهما ص:10.

[20] - ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص 8.

الأبعاد السياسية، أو الأيديولوجية، أو الدينية، فإن ما يمكن أن يقع الاتفاق عليه أن هذه الرؤى كلها قاسمها المشترك هو استهداف البنية القائمة، والسعي إلى استبدالها ببنية مغايرة تعكس تصوراتها الأيديولوجية، وهو سعي يرفض التغيير باعتماد التدرج الإصلاحي، ويعتمد على رؤية ترى أن التحول الجذري شرط ضروري لإعادة بناء الواقع وفق أسس جديدة.

وبناء على هذا، فإن انضمام الخطاب إلى الراديكالية، يفيد أن الخطاب الراديكالي بنية تعبوية تجمع بين النصوص، وبين الأيديولوجيات والسياقات، للإعلان عن رفض شامل للنظام القائم، وهو إعلان يعتمد لغة صدامية تُثير الانفعالات وتُثوّر النفوس والعواطف لاستقطاب الجمهور لقبول مشروع تغييري جذري، ويعتمد بناء التصورات الفكرية، ويعمل على تهيئة الظروف النفسية والاجتماعية لمواجهة الواقع، سواء بشكل سلمي أو عنيف.

لكن، وتأكيدا لما ذكر في المطالب السابقة، ينبغي التأكيد على أن العنف ليس عنصرًا جوهريًا في كل خطاب راديكالي، لكنه اختيار مبدئي ومترسخ في بعض النسق الراديكالي حين إما باعتباره وسيلة مؤقتة أو باعتباره جزءا من الرؤية والرواية الكلية للتغيير.وبهذا، يقترح البحث تعريف الخطاب الراديكالي بأنه: **منظومة أيديولوجية وخطابية تتبنى مواقف رافضة للنظم والقيم القائمة، وتسعى إلى إحداث تغييرات جذرية من خلال لغة حجاجية وتعبوية تتسم غالبا بالعنف.**

المبحث الثالث: تعريف العنف اللغوي

المطلب الأول: العنف لغة

العنف من ثلاثي الجذر (ع.ن.ف)، وهو جذر يحمل دلالات الشدة والقسوة، ويدل على الخرق في الأمر مع غياب الرفق واللين. قال الخليل: "عنف: العُنْف: ضدّ الرفق. عَنَفَ يَعْنُفُ عَنْفاً فهو عنيفٌ. وعنّفته تعنيفاً، ووجدت له عليك عُنْفاً ومشقّة. وعُنْفُوانُ الشّباب: أوّل بهجته". وفي الصحاح: "العُنْفُ: ضدُّ الرفق. تقول منه: عَنُفَ عليه بالضم وعَنُفَ به أيضاً. والعَنيفُ: الذي ليس له رِفْقٌ بركوب الخيل؛ والجمع عُنُفٌ. واعْتَنَفْتُ الأمر: إذا أخذتَه بعنف. واعْتَنَفْتُ الأرض، أي كرهتها. وهذه إبلٌ مُعْتَنِفةٌ، إذا كانت في بلدٍ لا يوافقها. والتَعْنيفُ: التعبير واللوم. وعُنْفُوانُ الشيء: أوّلُه. يقال: هو في عُنفُوانِ شبابه. وعُنْفُوانُ النبات: أوله".

ولم تخرج سائر المعاجم عما ذكره الخليل، فقد تقرر فيها أن العنف هو الشدة والقسوة ضد الرفق، سواء كان في التعامل مع الأشياء أو الأشخاص. ويضيف أن "التعنيف" يمثل صورة واضحة للعنف اللغوي، حيث يُستخدم التوبيخ والتقريع كوسائل للردع أو التأثير النفسي على المخاطَب.

وفي معجم ***Larousse*** لاروس الفرنسي، يحيل لفظ العنف ***violence*** على عدة دلالات منها:

- السّلوك العدواني والقوة الوحشيّة التي يمارسها الشّخص.
- استخدام القوّة لإجبار الآخرين، وتعميم استخدام القوّة المادية.

- طبع الذي يتعامل أو يتظاهر بالقوة أو حتى الغضب، رياح عنف المتطرفين، مرادفها فورة غضب شديد.
- شعور أو إحساس قوي جدا.
-شخصية متطرفة بالكلمة كعنف الكلام، والعنف الخطابي والسّياسي. الغلو والإفراط والسّيطرة وضدها الاعتدال[21].

أما معجم أوكسفورد Oxford فيعرف العنف بأنه: " العنف: أسلوب عدائي يهدف إلى إلحاق ضرر بشخص ما أو قتله كالجرائم والأعمال والممارسات والتّهديدات العنيفة"[22].

مقارنة:

من خلال المنظورين اللغوي والمعجمي، يتضح أن المعاجم العربية والغربية تتعامل مع مفهوم العنف من خلال مقاربات وإن اختلفت، إلا أنها تعكس طبيعة السياقات الثقافية والفكرية التي صاغت هذه التعريفات.

تربط المعاجم العربية العنف بالشدة والقسوة كضدّ للرفق، وذلك ضمن ثنائية واضحة ومباشرة هي ثنائية "العنف والرفق" التي تُضفي على المصطلح بعدًا أخلاقيًا قيميًا. كما يتجلى العنف في هذه المعاجم في بعدين رئيسيين:

- البعد المادي: يظهر في الأفعال التي تتسم بالشدة والقسوة، مثل "عنف به" بمعنى أخذه دون لين.
- البعد القولي: يتمثل في "التعنيف"، أي التوبيخ واللوم الشديد، وهو عنف معنوي يستهدف التأثير النفسي على الآخر.

وما يثير الانتباه هنا هو أن العنف في السياق المعجمي العربي يُفهم ضمن إطار سلوكي شخصي، يكون فيه الفرد إما فاعلا أو متأثرا، دون أن يمتد إلى أبعاد أوسع.

على النقيض من ذلك، تنحو المعاجم الغربية منحى أكثر شمولية، وذلك عندما تتجاوز ثنائية "العنف والرفق" إلى بعد واسع يشمل القوة والعدوانية بوصفهما أدوات لتحقيق السيطرة أو الإضرار، وهذا ما يجعل العنف غير محصور في سياق السلوكات الفردية، بل يمتد إلى سياقات تتعدد بتعدد مجالات دراسة العنف وبيئات التناول والطرح، الشيء الذي يتقرر معه أن المعاجم الغربية تركز على وظيفة وأثر العنف دون حكم قيمي مباشر، كما يتقرر أن الاختلاف بين المعجم العربي وبين المعجم الغربي ليس مجرد اختلاف لغوي، وإنما هو اختلاف يعكس روح ثقافتين مختلفتين: الأولى تُقيّم السلوك من منظور أخلاقي، والثانية تدرسه كظاهرة وظيفية متعددة الأبعاد.

---

[21]- *Dictionnaire Larousse, Maxipoche editions, Larouse, 2017, P: 1460*

[22]- *Oxford Advanced Learner's Dictionary of Curent English. AS Hornby Ninth Edition, Editors: Leonie Hey Susanne Holloway Oxford University Pres p:1741*

المطلب الثاني: العنف اصطلاحا

- عرف بعض المتخصصين العنف إجرائيا بأنّه: **"الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعدّدة لإلحاق الأذى بالأشخاص والجماعات، وتدمير الممتلكات، ويتضمن ذلك أساليب العقاب والاغتصاب والاعتداءات المختلفة، والتّدخل في حرية الآخرين"**[23].

هذا التعريف يُعنى بتحديد المشروعية وعدمها كمعيار مركزي لتصنيف السلوكيات، وهو إضفاء للصبغة العملية والمعيارية للتمييز بين العنف المشروع وبين العنف غير المشروع.

- وفي علم النفس، العنف **"سلوك مشوب بالقسوة والقهر والإكراه، وهو سلوك بعيد عن التّحضر والتّمدن، تستثمر فيه الدّوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا: كالضّرب، والتّقتيل للأفراد، والتّكسير والتّدمير للممتلكات، واستخدام القوة، والإكراه للخصم، وقهره. ويمكن أن يكون العنف فرديا يصدر عن فرد واحد، كما يمكن أن يكون جماعيا يصدر عن جماعة أو هيئة أو مؤسسة"**[24].

- وأما السياسيون فيرون أنه: **"استخدام كافة الوسائل المتاحة وفي مقدمتها القوّة، أو التّهديد باستخدامها لتحقيق أهداف محددة مسبقا، وفق حدّ أدنى من الوضوح النظري من جانب القائمين على السلطة، أو المضادين للتأثير في قراراتهم"**[25].

ينطلق السياسيون من البعد الاستراتيجي للعنف، وينظرون إليه باعتباره وسيلة لتحقيق أهداف محددة مسبقًا، وهو ما يدخل معيار النية والغاية كمؤثر في بناء المفهوم، وذلك من خلال التركيز على الاستخدام الهادف والمنظم للقوة أو التهديد بها، سواء من قبل السلطة الحاكمة أو المعارضين.

وبالنظر إلى مجموع هذه التعريفات، يتضح بروز منطق الأولويات في كل مجال، وهو وإن كان اختلافا جوهريا، لكنه لا ينفي قاعدة التكامل، على اعتبار أنه لا يمكن أن تكون هناك مقاربة شمولية وحيدة، فإذا كان السياسي ينظر إلى الأبعاد الاستراتيجية، فإن علم النفس يعطي تفسيرات للدوافع التي تحمل على العنف، بينما عالم الاجتماع يتخذ منحى أوسع لفهم العنف كمشكلة مجتمعية.

---

٢٣ - الحيدري، إبراهيم، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2015، ص:19.

٢٤ - طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار الصباح الكويت، 2005، ص: 551.

٢٥ - قبي، آدم، رؤية حول العنف السياسي، مجلة الباحث، العدد الأول، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2002، ص:102.

المطلب الثالث: تعريف اللغة

الفرع الأول: اللغة لغة

اللغة، واللغات، واللغون، من فعل "لغا، يلغو، لغوا، واللغو كما عند الخليل اختلافُ الكلامِ في معنى واحدٍ، ويعني اختلاط الكلام في الباطل، ومنه قول الله عز وجل: "وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً" أي: بالباطل. وقوله تعالى: "وَالْغَوْا فِيهِ" أي: يعني: رفع الصوت بالكلام ليغلّطوا المسلمين[26]. وجاء في المحكم: " اللَّغْو، واللغا: السقط، وَمَا لَا يعْتد بِهِ من كَلَام وَغَيره، وَلَا يحصل مِنْهُ على فَائِدَة وَلَا نفع. وشَاة لَغْو، ولغا: لَا يعْتد بهَا فِي الْمُعَامَلَة...وكل مَا أسقط فَلم يعْتد بِهِ"[27]. وقال الأزهري: " واللُّغَة مِنَ الأَسماء النَّاقِصَةِ، وأَصلها لُغْوة مِنْ لَغا إِذا تَكَلَّمَ".

واللغة فُعلة من لغوت لُغوة، والفعلة جعلت لموضع الفعل في الأعضاء[28]، وعضو اللغوة اللسان المنتج للأصوات، وبما أن الكلام حرف وصوت، وأن أكثر الأعضاء قبولا للترداد هو اللسان، فقد كانت اللسان موضع اللغة باعتباره "القوة النطقية القائمة بالجارحة لا الجارحة نفسها"[29]، والكلام دلالة على ما تتحقق به حاجة الإنسان المتمدن بالطبع إلى التعبير عن مقاصده[30]، وهو المعنى الذي يثبته ابن خلدون بقوله: **"اعلم أن اللغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"**[31].

يظهر من أبعاد التعريف اللغوي أن تعريف اللغة ينطلق من جوهرها الوظيفي، وذلك باعتبار أنها وسيلة تعبير تجمع بين القصد والفائدة. وتبين التعريفات اللغوية أن للغة شرطين: الأول: أداة فاعلة وهي اللسان، والثاني: صياغة معنى يعبر عن حاجات الإنسان ومقاصده، وبالتالي لا ينبغي قصر اللغة على كونها مجرد أصوات، وإنما هي منظومة ونظام اصطلاحي يرتبط بكل أهل لغة بحسب تفاعلهم مع مكوناتهم الإنسانية، والدينية، والاجتماعية، والحضارية.

---

٢٦ - كتاب العين، 449/4.

٢٧ - ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، 6تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000، 62/6.

٢٨ - الرضي، محمد بن الحسن الأسترآباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ومعها شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق: جماعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 161/1.

٢٩ - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ص:798.

٣٠ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1418 – 1998، 32/1.

٣١ - ابن خلدون، العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، /753.

المطلب الرابع: اللغة اصطلاحا:

أ- في التراث العربي الإسلامي

- عرفها ابن جني بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[32]. وقال ابن حزم: "ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها"[33]. أما ابن خلدون فيقول: "هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل إنساني ناشئ عن القصد لإفادة المتكلم"[34].

تظهر التعريفات البعد الوظيفي للغة في التراثين العربي والإسلامي، كونها بنية إنسانية تربط الإنسان بمحيطه، لذلك فابن جني يؤكد على البعد الجماعي الناشئ عن الصوت الذي تم التواضع عليه ليكون لغة، ويحيل ابن حزم هذا البعد إلى الجمع بين الإدراك الحسي للمسميات وبين التجريد العقلي للمعاني، لتكون اللغة بذلك جسرا بين الإنسان وبين واقعه، بين فكره وبين حركته. أما ابن خلدون، وإن كان تعريفه يتعلق بالفرد إلا إنه يرتكز على رؤية للغة باعتبارها فعلا إراديا نابعا من القصد الإنساني، يقصد إلى بناء المعنى والتواصل في إطار اجتماعي، وهذا الإطار هو الذ يمكن أن يقلل من حدة نقد تعريف ابن خلدون لدى المعاصرين على اعتبار أنهم يجعلون من الفروق الجوهرية بين الكلام واللغة التمييز بين البعد الفردي والبعد الاجتماعي[35].

ب- في الدراسات اللغوية الحديثة:

- من أشهر ما صاغه اللغويون المحدثون في تعريف اللغة ما جاء به **فرديناند دي سوسير**، حيث عرفها بأنها "" نتاجٌ اجتماعيٌ لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمعٌ ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة[٣٦]"". أو هي: "نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار"[37].

- اللغة عند **إدوارد سابير** هي: "وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقا، تهدف إلى توصيل الأفكار، والانفعالات، والرغبة عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية"[38].

هذه النماذج المنتقاة من تعريفات اللغة في اللسانيات الحديثة، تعكس ملمحا من ملامح تطور اللغة، وذلك بتجاوزها المستوى السطحي البسيط إلى بناء نظام مركب ذي

---

٣٢ - ابن جني، الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 33/1.

٣٣ - ابن حزم، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 46/1

٣٤ - تاريخ ابن خلدون، 735/1

٣٥ - البركاوي، عبد الفتاح، مدخل إلى علم اللغة الحديث، الطبعة الرابعة، 2005، ص:25.

٣٦ - دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية 1985، ص: 27.

٣٧ - المرجع السابق، ص:34.

٣٨ - *Language is purely human and non-instinctive method of communicating ideas, emotions and desires by means of voluntarily produced symbols. Sapir ،Edward: language, An Introduction to the study of speech, New York , 1922 . p-32.*

أبعاد اجتماعية وإنسانية. فإذا كان دي سوسير يعتبر اللغة منتوجا جماعيا للملكة اللسانية في مجتمع ما، ينتج عن تقاليده وتوافقاته في أدوات التواصل التي تشكل نظام إشارات ينقل الأفكار والمعاني من الوجود الذهني إلى الوجود الخارجي، فإن سابير يطرح بعدا إنسانيا مكملا، باعتبار اللغة وسلة واعية غير غريزية للتفكير والتعبير عن الذات، وتوصيل الأفكار والمعاني والانفعالات والرغبات من خلال رموز إرادية ومقصودة.

لكن هذه الطبيعة العاكسة، والصبغة الأداتية للغة، قد تقودنا إلى إشكاليات معقدة، وذلك حين تتحول اللغة إلى أداة غير محايدة، توظف في إعادة إنتاج الهيمنة، وتقويض النظم القائمة، وتفتيت القيم الحاكمة، الشيء الذي يحيلها إلى ساحة للصراع غير المباشر، أو المباشر، وإلى سلاح رمزي يوظف لإقصاء الآخر، أو تهميشه، أو السيطرة على وعيه، أو تحجيم حضوره، أو تشويه صورته دينيا، وإنسانيا، وسياسيا، وفكريا، عبر أشكال من العنف اللغوي والرمزي.

المطلب الخامس: تعريف العنف اللغوي

من الضروري أن يستند الانتقال من تعريف العنف، ومن تعريف اللغة من خلال البعد الإفرادي إلى تعريف العنف اللغوي إضافة وتركيبا، على فهم العلاقات البنيوية بين العنف وبين اللغة، وهذه العلاقات تقوم على أساس تجاوز العنف الأضرار النفسية والمعنوية إلى الأقوال والأفعال التي تصطبغ بصبغة الإكراه والهيمنة المباشرة أو الضمنية[39]، وتجاوز كون اللغة أداة تواصل وتعبير، إلى كونها أداة ذات تأثير عميق في تشكيل الخطاب وأطره البنيوية والدلالية.

وهذا يبرر بوضوح علاقة العنف باللغة من الناحية التداولية، أي: دراسة اللغة في سياق استعمالها ضمن الخطاب ووظيفتها في تحقيق أهداف معينة، وذلك باعتماد بنية خطابية تتسم بالعنف، وفي سياق توظيف اللغة لفرض الأيديولوجيات، والهيمنة الخطابية، وهو ما يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة الخطاب الراديكالي الذي يوظف العنف اللغوي في الإقصاء والتهميش، وعملية التأجيج التي تبنى بها النصوص والخطابات، بقصد إحداث واقع جديد على الأرض، وبناء منظومة مغلقة ذات رؤية أحادية همها الإخضاع لا الإقناع.

الواقع، أنه بعد استفراغ الوسع في البحث والتقصي، لم يظفر الباحث بتعريف دقيق للعنف اللغوي لدى الدارسين العرب، وما تم العثور عليه إنما جاء في سياق الحديث عن العنف اللفظي، والفرق بين المصطلحين بَيِّنٌ، وبينهما عموم وخصوص مطلق، على اعتبار أن كل عنف لفظي هو عنف لغوي، وليس كل عنف لغوي هو عنف لفظي، وذلك لاعتبارات استنتجها الباحث، وبيانها كالآتي:

---

٣٩ - *Dantan, Emmanuelle et autre,Quand le système discursif impose: le principe de violence discursive, Congrès Mondial de Linguistique Française - CMLF 2024.* www.shs-conferences.org/articles/shsconf/pdf/2024/11/shsconf_cmlf2024_01018.pdf

- **من حيث المجال:** العنف اللفظي مجاله الكلمات المنطوقة أو المكتوبة بصورة مباشرة وواضحة وصريحة، بينما العنف اللغوي نطاقه أوسع، حيث يمكن أن يكون نصوصا، أو رموزا، أو إيماءات، أو خطابات مبطنة.

- **من حيث الأسلوب:** يتسم العنف اللفظي بسمة الفجاجة والغلظة والوقاحة، ودون أي صور بلاغية، بينما العنف اللغوي متنوع الأساليب، يعتمد التلاعب البلاغي، ويوظف الاستعارات، والتوريات، والكنايات، والتضخيم، ويستبطن الإقصاء، ويعتمد التراكيب اللغوية التي تنتج التحريض والتشويه بطرق غير مباشرة.

- **من حيث الأدوات:** ليس للعنف اللفظي أدوات محددة، ولا لغة منضبطة بضوابط، بل لغته لغة مباشرة غير متقنة تهدف إلى تحقيق الأذى النفسي المباشر. في حين أن العنف اللغوي له لغة ذات أبعاد رمزية وبلاغية، ظاهرها الحياد والموضوعية والإيجابية، لكن وراء الألفاظ والجمل والتراكيب إيحاءات خفية ومقاصد غير مصرح بها جملة أو تفصيلا.

- **من حيث المستوى:** مستوى العنف اللفظي غالبا سطحي ودون تعقيد أو تركيب، بينما العنف اللغوي فيه عمق وتعقيد بسبب توظيف الأساليب البلاغية كالتكرار والتلميح لتوصيل الرسائل العنيفة دون تصريح مباشر بها.

- **من حيث التأثير:** تأثير العنف اللفظي آني ومباشر في حصول الإيذاء المعنوي والاجتماعي، أما العنف اللغوي، فإن أثره بعيد المدى، بحيث يترك آثارا نفسية واجتماعية عميقة، ويسهم في بناء قناعات أيديولوجية وخطابات كراهية.

لكن هذا التمايز لا يمنع من أن نجد بعض الإشارات التعريفية عند الباحثين الغربين، وذلك على اختلاف مشاربهم الفرنكوفونية أو الأنجلوسكسونية ، أي: إننا نجد العنف اللغوي في هذه المرجعيات يأخذ مسميات عدة، كالعنف اللفظي، والعنف الخطاب ***La violence discursive***، ويمثل المدرسة الأولى كلودين مويز ***Claudine Moïse*** التي تعرف العنف اللغوي بأنه: "مجموع الممارسات اللغوية المهددة التي تُشعر بأنها انتهاكات ضد الشخص كفرد وعضو في مجموعة"[40]، في حين أن المدرسة الأنجلوفونية ترى أن العنف الخطابي العنف مرتبط بأشكال مختلفة من الخطابات العنيفة، العدوانية "الخطاب الهجومي" ***assaultive discourse*** ، وبالتالي فالعنف الخطابي عند جونز هو عمليات وممارسات لكتابة نص عن مجموعات أو أشخاص في أماكن، وبطرق تتعارض مع كيفية تعريفهم لأنفسهم. في هذه العمليات، يُخفي العنف الخطابي العلاقات الاجتماعية-المكانية

٤٠-*Moïse, C., Oprea, A.(2015). Présentation. Politesse et violence verbale détournée.Semen, 40,1-8*

التي من خلالها يتم إخضاع مجموعة ما. والنتيجة النهائية هي وضع المجموعات أو الأشخاص في مواقع تابعة[41].

إذن، ما سبق من هذه التعريفات المقاربة، يفيد هذا البحث في ضرورة الفصل بين العنف اللفظي وبين العنف اللغوي من جهة، وبين العنف اللغوي وبين عنف اللغة أو لغة العنف من جهة أخرى؛ لأن هذا التمييز هو الذي يسعف في عملية تفكيك الخطاب الراديكالي، ويجعل البحث أيضا يتجاوز إشكالية حصر العنف في بعده المادي، ويسمح بعدم الوقوع في إشكالية ثنائية النص والخطاب التي تقتضي النظر في الملفوظ أو المكتوب من جهة البنية باعتباره نصا، ومن جهة الدراسة اللغوية باعتباره خطابا نظاميا مرتبطا بشروط إنتاجه، والبحث يختار الاعتماد على المؤشرات اللغوية في الخطاب الراديكالي لرصد مظاهر العنف اللغوي.

ومن هذا المنطلق، فإن مفهوم العنف اللغوي الذي يقترحه الباحث ويسير عليه في تفاصيل البحث هو أنه **" نمط من الاستعمالات اللغوية التي تتعدى الوظيفة التواصلية للغة إلى جعلها أداة بناء خطابات تضمر الإكراه والكراهية، وتستبطن التحريض، وتتجاوز الأثر اللحظي إلى تشكيل واقع نفسي، أو ديني، أو سياسي، أو اجتماعي، وفق رؤية أيديولوجية في سياق تداولي معين"**

المبحث الثاني: لماذا تحدي لغة الخطاب الراديكالي؟

حين يكون الدارس مدركا لوزن أسئلة قلقة ومقلقة من قبيل: **لماذا تنجح اللغة الراديكالية؟** فإنه بذلك يكون قد دخل في عمق معركة استرجاع وتصحيح المفاهيم، واستنقاذ الأديان والإنسان والأوطان من أيدي المؤدلجين، وإطلاق سراح العقول وإعادة برمجتها، وتخليصها من الشحنات والنزعات السلبية التي تسعى إلى الهيمنة على الأفراد والجماعات والمجتمعات والمؤسسات[42]، وتتغيى إعادة تشكيل الواقع من خلال منظومة خطابية محكمة، لا تخاطب العقل المجرد، وإنما تخاطب الدواخل النفسية، فتغرس في المتلقي بذور الشك والخوف والتوجس، حتى يصبح أسيرًا لرؤية محدودة وأحادية لا يرى من خلالها إلا ما يمليه عليه هذا الخطاب.

من طبيعة الخطاب الراديكالي أنه يتسلل بين الشقوق والفراغات التي يحدثها الواقع بكل مكوناته وتركيباته وإكراهاته ومتغيراته، ومن ثم فهو يجد بيئة خصبة خاصة في أوقات الأزمات، وأزمنة الانكسار الجماعي، وفي الفضاءات التي تهملها السلطة السياسية، أو تعجز عن ملئها المؤسسات الدينية والتعليمية، أو الثقافة المجتمعية المحصنة، فإذا ما

---

٤١ - *Jones, J. P., Nast, H. J., Roberts, S. M. (1997) Thresholds in feminist geography: difference methodology representation. Lanham: Rowman & Littlefield Publishers. Quand le système discursif impose : le principe de violence discursive, p:3.*

٤٢ - أحمد، عالم، ثنائية اللغة والأيديولوجيا في ترجمة رواية الأزمة، المجلد:10، العدد:04، ديسمبر 2019، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري- تيزي وزو مخبر الممارسات اللغوية. الجزائر، ص:51.

تمكن من إيجاد موقع قدم في هذه الفضاءات لم يقف عند حد إثبات الوجود، ولا يكتفي بمجرد تفسير الواقع، بل إنه يستغل هذا الواقع لإعادة خلقه من جديد وفق رؤيته ومنطقه وفكره، بخطاب مدروس، يستهدف الشعور بالمظلومية، ليصنع سرديات مأزومة حول هذا الواقع، وبناء قناعة لدى المتلقي بضرورة تغييره جذريا دون هوادة أو بطء، ودون تفكير في النتائج والمآلات، مع حرص شديد على **"أدلجة التاريخ"** بإدخال بعض الحوادث التاريخية **"التي تصنف ضمن فصول تاريخ البشرية بمآسيها وإنجازاتها ضمن مفاهيم العقيدة، واعتبارها جزءا من الأيديولوجيا التي تتكون منها العقيدة، واعتبار كل رؤية أخرى خارج سياقها أنها خارجة عن العقيدة والإيمان الصحيح"**[43].

وإذا كان السؤال السابق أي: "لماذا تنجح اللغة الراديكالية؟" سؤالا مهما، فإن هناك سؤالا آخر يوازيه أو ربما يفوقه في الأهمية، وهو سؤال: **"لماذا يفشل خطاب الاعتدال في منافسته؟** هنا نجد أن الراديكالية -التي تعني البحث- لها قدرة على إتقان صناعة الصراعات عاطفية؛ وإثارة الخوف، وتأجيج الغضب، وزرع بذور الكراهية، في الحين الذي يعجز فيه خطاب الاعتدال والوسطية عن الوعي بهذه المشاعر، أو يُقَصِّرُ في استيعابها وتحويلها إلى طاقة بناءة. إنه صراع بين خطابين: **خطابٌ يسعى إلى التنازع على البقاء، وخطابٌ يسعى إلى التعاون عليه**[44]، وتزداد الخطورة حين ترتبط الأيديولوجيا[45] بالدين، لأن **"أخطر ما في الأيديولوجيات الدينية هي تحويل الصراعات الأرضية إلى صراعات دينية، كي تدرج العدد الأكبر من الناس في صراعاتها"**[46]، وبناء على ذلك يعمل الخطاب الراديكالي غالبا في دائرة خطاب العدل، والحق، والحرية، ويستنجد بصناعة أيديولوجيا مضادة للنظم والقيم (للأيديولوجيا)[47] السائدة في الواقع من أجل

٤٣- البلوشي، صالح عبد الله، الإسلام السياسي وصناعة الخطاب الراديكالي، الانتشار العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ص:58.

٤٤ - مقتبس من كلام الشيخ عبد الله بن بيه في الملتقى الأول لمنتدى أبوظبي للسلم، 9 مارس 2014، أبوظبي، منتدى أبوظبي للسلم، ص: 15*

٤٥ - احتاج البحث إلى استثمار مصطلح "الأيديولوجيا" بحسب تعريف قاموس كامبريدج الذي يعرفها بأنها: **"نظرية أو مجموعة من المعتقدات، تكون خاصة بفئة معينة من الناس أو ربما بشعوب بكاملها أحيانا، وربما يقوم عليها نظام سياسي معين أو حزب أو منظمة".**

تاريخ الزيارة: 2024/04/12.https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/ideology

٤٦ - برقاوي، أحمد نسيم، الدين والأيديولوجيا، موقع الزراع، Les Semeurs،

تاريخ الزيارة: 2024/05/02 https://www.lesemeurs.com/Lecture-zen-acv.aspx?ID=2284

٤٧ - وضع الباحث الأيديولوجيا بين قوسين في سياق الكلام عن النظم والقيم القائمة، بناء على استحسان لمعاني وردت في مقال للباحثة علا عزمي الشربيني تقول فيه: **"والأيديولوجية في بعض المعاني تنبع من الماضي وتحن إليه، وفي البعض الآخر تعكس الحاضر والأمر الواقع، وفي معنى ثالث تبشر بالمستقبل والمثل الأعلى، وفي معنى رابع تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، فيتحول الماضي إلى المستقبل أو العصر الذهبي أداة لتغيير الحاضر، وهكذا دواليك. والأيديولوجية لها فعالية حسب رأي ما؛ لأنها تعزل الجماهير عن الواقع، وهي لها فعالية حسب رأي آخر؛ لأنها تُبسِّطُ لهم الواقع وتفهمهم إياه.**

تحييدها بالمفهوم العسكري، أي إخراجها من ساحة الصراع وهدمها كليا، هذه الأيديولوجيا المصنوعة تقوم على أساس أن الإنسان الذي لا تشبع النظم والقيم القائمة والحاكمة حاجياته، ولا تحقق أهدافه، ولا تعطيه تفسيرا أو تبريرا لظروفه وواقعه، فإنه يكون ساخطا على الحاضر وخائفا من المستقبل، ولذلك فهو **"يتجه إلى الأيديولوجيات المنبثقة أو التي تستعيد نشاطها، والتي يرى فيها صورة لحياة أفضل"**[48].

إن خطورة الخطاب الراديكالي لا تتحدد في محتواه فقط، بل إن اللغة التي يعتمدها تتجاوز الكلمات والألفاظ والجمل إلى 'إطار فكري وعقدي" يعيد تشكيل الهوية، يضخم الأنا في نفس المتلقي، ويجعله يشعر بأنه جزء من مشروع كبير لتغيير الواقع جذريا، يمتلك إجابات قطعية لكل الأسئلة، وهذا طبعا متعلق بالشمولية التي تدعيها الأيديولوجيات[49]، مما يحتاج معه إلى التوسل باللغة أداة للتجنيد والتعبئة لنشر نظرة أحادية ذات نسق فكري مغلق ، يغذي العقل بمجموعة من المعتقدات والمفاهيم التي تعلن الحرب على فكرة لا تشبهها ، ويترتب على ذلك إنتاج نسخ متشابهة، من البشر، وجمع الجمهور على المبادئ التي تقرُّها الأيديولوجيا مهما كانت نتائجها، واعتقاد أن ذلك هو الحق"[50].

لهذا، فلا سبيل إلى مواجهة الخطاب الراديكالي بالخطابات العاطفية الانفعالية، أو بالتهوين من أدواته ووصفه بأوصاف تصغيرية كالرجعية والظلامية، وإنما المواجهة تكون بتفكيك البنية اللغوية ذاتها لهذا الخطاب، ومن خلال تكثيف الجهود المتكاملة لكشف آلياته، وفهم نقاط قوته التي يستقطب بها الجماهير.

المطلب الأول: من ملامح مقاصد الخطاب الراديكالي من توظيف العنف اللغوي

استنادًا إلى ما تم عرضه في الفصل السابق من تعريف للعنف اللغوي والخطاب الراديكالي، يظهر أن العلاقة بينهما تتجاوز المستوى الوصفي إلى مستوى أكثر عمقًا يُبرز التداخل البنيوي والوظيفي بين المفهومين، إذ اقتران العنف اللغوي بالخطاب الراديكالي، يجعل منه بنية تعبيرية تعمل على إعادة صياغة المفاهيم ضمن واقع جديد يكون من أهدافه:

- **تقويض شرعية الآخر:** يتجلى دور العنف اللغوي في الخطاب الراديكالي من خلال آلية إعادة صياغة المعاني، حيث تُجرد الكلمات من سياقاتها الوضعية التقليدية

لكل هذا فالأيديولوجية تعني كل شيء وعكسه، وبوسع كلمة "أيديولوجية" أن تؤدي معاني مختلفة حسب منظور المتكلم". القول خطابا أيديولوجيا، مجلة: فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، المجلد:126، ص: 233.

٤٨ - عبيد، مالك، ومحمد، محمود، الأيديولوجيا السياسية: دراسات في الأيديولوجيات السياسية المعاصرة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، الطبعة الأولى، 1425ه، ص: 66.

٤٩ - طه، المتوكل، بين الدين والايديولوجيا، https://www.maannews.net/articles/991987.html، تاريخ الزيارة: 2024/05/04.

٥٠ - سالم، عواد محمود عواد، مقدمة في فلسفة الأيديولوجيا ودعوى تطبيقها في العقائد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد: 3، المجلد: 5، 2018، ص:39.

وتُشحن بدلالات جديدة تهدف إلى خلق قطيعة حادة وجذرية مع الآخر. هذه العملية تندرج ضمن استراتيجية خطابية يمكن تسميتها -حسب رأي الباحث- بإعادة صياغة المفاهيم، وذلك بغاية إعادة بناء الواقع المفاهيمي بما يعزز أهداف الخطاب الراديكالي، والأمثلة في هذا السياق كثيرة لعل أبرزها مفاهيم مركزية مثل **'الكفر' و'الإيمان'، و"الحق" و"الباطل"، و"دار الإسلام" و"دار الحرب"**، وغيرها من المعاني التي يعزز استغلالها الانقسام داخل المجتمعات وتبرير المواقف العدائية، والتي تتسم بطابع المركزية والمحورية في خطاب الراديكالية والتطرف الذي يدمجها ضمن منظومات دلالية مغلقة تجعل الآخر خارج نطاق الشرعية الدينية، وذلك على اعتبار أنه **"لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيديا وشعوريا ومنهج حياة، عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعورا كاملا بأنها هي الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه؛ جاهلية وأهل جاهلية"**[51].

- **إعادة صياغة المفاهيم المركزية:** يُعاد توظيف المفاهيم داخل الخطاب الراديكالي بعيدًا عن سياقاتها التقليدية، وذلك مثل **"الجاهلية" و"الحاكمية" و"الاستعلاء"**، بحيث يتم شحنها بدلالات تهدف إلى خلق حالة من القطيعة الرمزية مع الآخر على جميع مستويات التفاعل، سواء كان الآخر فردًا، أم جماعة، أم نظامًا سياسيًا، أم مجتمعًا بأكمله، وذلك لتحقيق غاية مفصلية في الفكر الراديكالي الذي يعتني به البحث، وهي "إعادة وجود الأمة المسلمة وبعثها لقيادة البشرية"[52]، إذ كما يقول سيد قطب: **"لا بد من الإيمان ليملك الدعاة إلى الخير، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، أن يمضوا في هذا الطريق الشاق، ويحتملوا تكاليفه وهم يواجهون طاغوت الشر في عنفوانه وجبروته، ويواجهون طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها، ويواجهون هبوط الأرواح، وكلل العزائم، وثقلة المطامع..."**[53]، وهذا يعني إعادة صياغة للمفاهيم برؤية استعلائية، حيث يستحضر الجاهلية وطاغوت الشر لا ليسم بهما المجتمعات غير المسلمة، بل ليجعلها حكما على المجتمعات المسلمة المعاصرة التي لا تدخل تحت عباءة رؤية العالم التي يؤسس لها. كما أن مفهوم الإيمان يتوسع ليحيل على المواجهة المطلقة، في الوقت الذي يضفي على الاستعلاء بعدا رمزيا للجماعة من خلال زرع شعور داخلها بالفوقية على المجتمع الجاهلي أخلاقيا ودينيا وفكريا، وبناء هوية مغلقة مرتكزة على التمايز.

- **إعادة تشكيل الهويات والحدود:** يسهم العنف اللغوي في إعادة رسم المشهد الديني والاجتماعي والسياسي، من خلال تكريس حدود صارمة تفصل بين "نحن" و"هم"،

---

٥١ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة: 30، 2001، 2122/4.

٥٢ - جمال، أحمد، الأصولية الجديدة والحداثة: "معالم في الطريق" أنموذجا، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، كلية الآداب، المجلد: 40، يناير - مارس 2012، ص:21.

٥٣ - في ظلال القرآن، 448/1.

وإقصاء الآخر نهائيًا من نطاق الشرعية، مما يؤدي إلى تعزيز حالة الصدام بين الهويات، مع ترسيخ شعور التفوق والطهرانية، والتمايز عن المجتمعات الجاهلية المتسمة بالجهل المطبق، والانحطاط الأخلاقي والعقلي، كما يرى ذلك سيد قطب في بعض أدبياته، وذلك من قبيل قوله: **"والمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام. وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً.. إن الناس ليسوا مسلمين - كما يدّعون - وهم يحيون حياة الجاهلية. وإذا كان فيهم من يحب أن يخدع نفسه أو يخدع الآخرين، فيعتقد أن الإسلام يمكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية فله ذلك. ولكن انخداعه أو خداعه لا يغير من حقيقة الواقع شيئاً.. ليس هذا إسلاماً، وليس هؤلاء مسلمين. والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد..."**[54].

- الحسم والمفاصلة: يقول سيد قطب: **"ولا بد أن يصل الأمر إلى ذلك المستوى من الحسم والوضوح في نفوس العصبة المسلمة التي تعاني مواجهة الجاهلية الشاملة في هذه الفترة النكدة من حياة البشرية، فإنه بدون هذا الحسم وهذا الوضوح، تعجز طلائع البعث الإسلامي عن أداء واجبها في هذه الفترة الحرجة من تاريخ البشرية، وتتأرجح أمام المجتمع الجاهلي، وهي تحسبه مجتمعا مسلما، وتفقد تحديد أهدافها الحقيقية، بفقدانها لتحديد نقطة البدء من حيث تقف البشرية فعلا، لا من حيث تزعم!! والمسافة بعيدة بين الزعم والواقع، بعيدة جدا"**[55].

إن من بين ما يمكن قراءته من وراء ألفاظ هذا النقل هو محاولة فرض هيمنة رمزية على المتلقي، وذلك من خلال النفخ في حجم التهديدات وتضخيمها، والإيحاء بانتفاء الخيارات، ليجعل القارئ أمام تفسير وحيد ضمن هيمنة رمزية تُغلق الباب أمام أي نقد أو إعادة تقييم، خاصة مع ربط المتلقي مع صورة ميتافيزيقية متخيلة متمثلة في "الفترة الحرجة"، أي: كأنه يقول للقارئ: الوقت ينفذ، ونحن في مرحلة فاصلة من تاريخ البشرية، وهو واقع يبرر اللجوء إلى أية حلول جذرية ووسائل حادة لتغيير الواقع.

وإذا كان العنف اللغوي عنصرا أصيلا بنيويا ووظيفيا في الخطاب الراديكالي، فإن هذه الأصالة تقتضي رصد بعض المرتكزات التي يرتكز عليها الخطاب الراديكالي في تحقيق ما سبق ذكره آنفا، وهي بالضرورة مرتكزات تعمل على توجيه بنيته ودلالاته، وتحتاج إلى تحليل يحاول البحث تقديم صورة عنه من خلال المطالب اللاحقة.

المطلب الثاني: وظيفة العنف اللغوي في بنية الخطاب الراديكالي

المقصود ببنية الخطاب الراديكالي، هو الهيكل اللغوي الذي يوظفه في بناء خطاب عنيف على المستويين الرمزي والفكري دون الحاجة إلى التعبير المادي المباشر. وتعتمد هذه البنية على صياغة اللغة في صورة أيديولوجية محددة، تقوم على إغلاق المفاهيم،

٥٤ - قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة السادسة، 1979، ص:136.
٥٥ - في ظلال القرآن، 1945/4

وتفجير العنف الرمزي من خلالها، لصياغة حقائق من الواجب على القارئ المؤدلج أو المستلب أن يتلقاها باعتبارها يقينيات مطلقة، وغير قابلة للتأويل أو التفسير المخالف، أو الشك فيها، أو على الأقل مناقشتها، بمعنى أنه يعاد تشكيل وعي المتلقي ليكون مستعدا إلى الانتقال من العنف اللغوي أو الفكري إلى القبول بمواقف وانفعالات وأفعال أكثر راديكالية وتشددا دون تفكير.

هذا الهيكل يمكن أن يعطى وصفا مستعارا من الدراسات اللغوية المعاصرة، وهو وصف **"عنف البلاغة وبلاغة العنف"**[56] الذي يمكن عده أحد الأدوات الخطيرة التي يستخدمها هذا النوع من الخطاب في صناعة الهوية الجماعية لدى الأتباع، وبناء الإيمان الجازم بعقيدة المفاصلة التي سبقت الإشارة إليها في المطلب السابق.

إن مفهوم **"عنف البلاغة وعنف البلاغة"** يعني في قسمه الأول الاستخدام المفرط للغة في الخطاب الراديكالي، وذلك بغاية إحداث أثر نفسي وفكري من خلال صور خطابية تحاصر العقل، وهو فعل سابق على عنف البلاغة الذي يلخص استغلال اللغة بشكل مدروس من أجل خلق ديناميكية العنف والسيطرة والهيمنة[57]، ومن أجل بناء سرديات محددة للأحداث التاريخية، أو رؤية ورواية مؤطرة للمفاهيم الدينية، وغير ذلك مما يتعلق بالسياق التأويلي، أو التأصيلي للقطيعة والعداوة تجاه الآخرين، وتبني مفاهيم مغلقة تُغذي السلوكيات المتشددة.

تشير **كاروث *Caruth*** إلى أن فكرة التاريخ كما نعرفها نشأت من غموض الصدمة[58]، وهو ما يمكن أن يصدق على الخطاب الراديكالي الذي يتعامل معه البحث، وهي صدمة ترجع إلى سقوط الدولة العثمانية، ورغم أن هذا السقوط كانت له مبرراته الذاتية والموضوعية، إلا أن صدمته ظلت غير قابلة للفهم سرديًا، وعلى هذا الأساس قام الخطاب الراديكالي -بناء على تفسير البحث لرأي كاروث- بإنشاء سردياته الخاصة لتفسيرها بغرض إضفاء معنى عليها، وهو معنى يستلزم التوسل والاستنجاد بمفاهيم دقيقة جدا وذات حدين من قبيل: **الحاكمية، والجاهلية، والأمة، والجهاد**، حيث يجعلها الخطاب الراديكالي في دوائر متشابكة لا يمكن للمتلقي فصلها نظرا لشدة التلازم بينها، بحيث إن نفي الحاكمية، يستلزم الوقوع في الجاهلية، والوقوع في الجاهلية يترتب عنه حتما المفاصلة بين الفئة المؤمنة والفئة الجاهلة، وهذا التولد يلزم منه الإقناع بالجهاد، واستلاب عقل المتلقي وإقناعه بأنه ما خُلِق إلا ليكون مجاهدا.

---

٥٦ - اقتباسا من: موهوب، مراد، "لغة العنف وعنف اللغة"، مجلة عالم التربية، العدد:29، 194-183.

٥٧ - *James C. Gunter, THE RHETORIC OF VIOLENCE, A thesis submitted to the faculty of Brigham Young University in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, Department of English, Brigham Young University. August 2008, p:20.*

٥٨ - *Cathy, Caruth, Unclaimed Experience: Trauma and the Possibility of History." Yale French Studies.*
79 (1991); 181-192.p:182.

حدد عالم النفس فريدريك هاكر ***Frederick J. Hacker*** ثلاثة أنواع مميزة من الإرهابيين في عنوان كتابه **المجاهدون، والمجرمون، والمجانين**[59]، وبين أن كل مستوى من هذه المستويات الثلاث له دوافعه إلى التطرف والعنف، فالمجاهدون ***(Crusaders)*** دوافعهم مثالية في خدمة قضية عليا يؤمنون بها، والمجرمون ***(Criminals)*** مقاصدهم شخصية لا علاقة لها بقضية أو مبدأ، والمجانين ***(Crazies)*** يدفعهم المرض النفسي لتحقيق مجد شخصي، أو التغلب على الشعور بعدم الأمان، أو للانتقام من المحيط الذي يرعبهم.

إن هذا التصنيف يكشف الأبعاد النفسية والسلوكية التي يستغلها الخطاب الراديكالي عبر بنية العنف اللغوي. والذي يعنينا من هذا التصنيف هو الصنف الأول (المجاهدون)، إذ يستغل الخطاب الراديكالي لغة تعتمد على التمجيد وتقديس القضايا، واستثارة المظلوميات الدينية والتاريخية والسياسية، بغرض شرعنة أي عنف مادي أو معنوي لدى **"مجتمع المبارَكين"**[60]، والاطمئنان لوجوب المفاصلة بين الكفر والإيمان، والعدل والظلم، والخير والشر، دون إغفال استغلال البعد النفسي من خلال توظيف **بلاغة العنف** كأداة مركزية لاستدعاء أزمنة النكبات، وإعادة صياغة أحداثها أو لنقل تداعياتها بلغة مشحونة بالعنف لتكون جزءًا مركزيًا في بناء الهوية الخطابية للجماعة الداخلة تحت سلطان الهيمنة الفكرية لمنظري الخطاب الراديكالي، على الرغم من أن غالبية هؤلاء الأتباع لم يعيشوا تلك الأزمنة، إلا أن التأثير النفسي للخطاب الراديكالي ينقلهم إلى العيش في ذلك الزمن والتفاعل معه والاندماج فيه كأنهم من أهله.

تستلزم **بلاغة العنف** حتما **عنف البلاغة**، ليس فقط في اختيار الألفاظ والعبارات، بل في بناء سياقات خطابية تُخوف من إعادة إنتاج الصدمة عبر التشبيه، والتكرار، والمبالغات التي تجعل الخطر يبدو واقعا ومستمرا، مما يؤدي إلى استثارة المشاعر بشكل متعمد، والتحسيس بالخوف وعدم الأمان، حتى في غياب أي تهديد مادي حقيقي. المتلقي، إذن، لا يعيش تجربة العنف بشكل مباشر، بل يعايشها كصورة ذهنية مغروسة عبر الخطاب، حيث تُصبح كل جملة وسيلة لتكريس الخوف وتعزيز الهوية الجماعية في مواجهة "الآخر" الذي يُصور كخصم دائم.

من هذا الأساس، يمكن أن نفهم ما أشار إليه رالف ***Ralph*** بخصوص الجمهور الذي يستهدفه الخطاب الراديكالي بمختلف اتجاهاته، حيث قرر أن الجماعات المتطرفة تهدف إلى تغيير العالم وفقا لرؤية شمولية، غير أن بعض هذه الجماعات لا تستطيع أن تحقق الإقناع الأيديولوجي، بسبب أنها تواجه نوعين من الجمهور:

٥٩- *Frederick J. Hacker, Crusaders, Criminals, Crazies: Terror and Terrorism in Our Time, (New York: Norton, 1976), passim.*

٦٠- ***Dowling, Ralph E.*** *The Rhetorical Genre of Terrorism: Identification and Policy Implications. Paper presented at the Annual Meeting of the Western Speech Communication Association (Denver, CO, February 19-23, 1982), p:8.*

- **الجمهور الأول:** الأتباع المخلصون للحركة، الذين لا يحتاجون إلى إقناع.
- **الجمهور الثاني:** الجماهير العامة، الذين لا يمكن إقناعهم بسبب غموض الأيديولوجيات الإرهابية، وردود الفعل السلبية الناتجة عن العنف الضروري لتحقيق أهداف الإرهابيين[61].

لا يتفق البحث مع رالف جزئيا في هذا السياق، بسبب أن كل التيارات الراديكالية تواجه نفس الجماهير، صحيح أن جزءا منها يعتمد على الفعل أكثر من البلاغة، لكن الغالبية منها سواء كانت دينية أم غير دينية تعتمد بلاغة العنف وعنف البلاغة لصياغة العنف الرمزي والمادي على حد سواء لاستبقاء ولاء الأتباع خاصة فئة المجاهدين التي أشار إليها البحث في موضع سابق.

الخلاصة، أن العنف اللغوي ضمن بنية الخطاب الراديكالي لا يتوقف عند التأثير على إدراك المتلقي، وإنما يعمل على **تحويل الانفعالات إلى أفعال**، بحيث يصبح العنف اللغوي أداة تمهيدية للعنف السلوكي. ويتم ذلك عبر آلية متقنة يمكن تسميتها **"التصعيد الإدراكي التدريجي"**، والتي تقوم -من خلال الاستقراء- على أربع مراحل أساسية:

- **مرحلة التهيئة الشعورية** :حيث يتم إشعار المتلقي بأنه مستهدف، أو مظلوم، أو مهدد، مما يجعله في حالة نفسية غير متزنة، تدفعه إلى البحث عن حلول داخل الخطاب الذي يوجهه.
- **مرحلة بناء الهوية الخطابية** :حيث يُعاد تشكيل وعي المتلقي بحيث يرى ذاته بوصفها جزءًا من "مجتمع الخطاب"، أي أنه لا يفكر كفرد، بل كعضو في منظومة مغلقة.
- **مرحلة التطبيع مع العنف الرمزي** :حيث يتم تعويد المتلقي على استخدام لغة ذات طابع إقصائي، تجعل العنف ضد الآخر يبدو مبررًا، من خلال إدخاله ضمن منظومة الخطاب بوصفه "وسيلة دفاع" أو "ضرورة شرعية."
- **مرحلة تذويب الحاجز بين اللغة والفعل** :وهي المرحلة التي يصبح فيها المتلقي مستعدًا لأن يمر من العنف اللغوي إلى العنف الفعلي، سواء عبر الدعم الصريح للأفعال العنيفة، أو عبر ممارستها.

إن هذا الانتقال من اللغة إلى الفعل لا يحدث فجأة، بل يتم عبر عملية **إعادة بناء إدراكي متدرج**، تجعل المتلقي يُعيد تعريف مفاهيم "العدو"، و"المظلومية"، و"الواجب"، بحيث يصبح الفعل العنيف نتيجة منطقية للرؤية التي زرعها الخطاب في وعيه. ومن أبرز الأدوات التي يعتمدها الخطاب الراديكالي في إنتاج العنف اللغوي هو **خلق واقع بديل**، حيث لا يقتصر على التأثير في اللغة، بل يُعيد تشكيل إدراك المتلقي للواقع بطريقة تجعله عاجزًا عن رؤية أي تفسير خارج نطاق الخطاب الذي يتلقاه. وهذا ما يمكن تسميته

٦١ - ***Dowling, Ralph. P:10.***

"الحجب الإدراكي"، حيث يتم منع المتلقي من الوصول إلى تصورات بديلة، أو مقارنات عقلانية، أو تحليلات نقدية، من خلال وسائل عدة، أبرزها:

- **خلق صورة رمزية مغلقة للواقع**، بحيث يتم إعادة تعريف الحقائق وفق منظومة لا تقبل الشك، مثل تصوير الأحداث بوصفها "مؤامرات"، أو "ابتلاءات"، أو "امتحانات"، مما يمنع المتلقي من تحليلها بشكل محايد.
- **تقديم تفسيرات جاهزة لكل حدث**، بحيث لا يُترك للمتلقي مجال للتفكير، بل يتم تقديم تفسيرات مسبقة لكل واقعة، ضمن إطار تآمري يُغلق أي إمكانية للتحليل الموضوعي.
- **استخدام الحجب العاطفي**، من خلال إثارة مشاعر الغضب والخوف والانفعال، مما يجعل المتلقي في حالة إدراكية غير متزنة، تدفعه إلى قبول ما يُملى عليه دون تفكير نقدي.

وهذه العملية تجعل الخطاب الراديكالي ليس فقط خطابًا لغويًا، بل **نظامًا إدراكيًا يحجب المتلقي عن رؤية أي واقع خارج إطاره**، مما يجعله عالقًا داخل منظومة مغلقة من التفسيرات الجاهزة، لا يستطيع الخروج منها إلا عبر تفكيك كامل للآليات التي بُني عليها وعيه.

النتائج والآفاق:

يُظهر البحث أن العنف اللغوي في الخطاب الراديكالي إلى جانب كونه وسيلة خطابية، هو منظومة **إدراكية** متكاملة تُعيد تشكيل الوعي، وتفرض تصورات قسرية تُحاصر المتلقي داخل أنساق فكرية مغلقة، مما يجعله غير قادر على تجاوز التفسير الأحادي للواقع. ويُعد الخطاب الراديكالي أداة لإنتاج **زمن لغوي خاص** يُحيل الحاضر إلى امتداد لصراعات الماضي، والمستقبل إلى حتمية انتصارية، مما يدفع المتلقي إلى مواقف متشددة دون إدراك تلاعب الخطاب بمعاييره الإدراكية. وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- العنف اللغوي في الخطاب الراديكالي يُعيد إنتاج المفاهيم ضمن منظومة دلالية صارمة، تحجب إمكانيات التأويل أو التفكير النقدي.
- الخطاب الراديكالي يُنتج "حتميات خطابية" تجعل البدائل الفكرية غير واردة، مما يُحكم السيطرة على إدراك المتلقي.
- التلاعب بالسياقات الزمنية داخل الخطاب يُستخدم لخلق إحساس بالضرورة التاريخية، مما يجعل الصراع يبدو حتميًا وغير قابل للمراجعة.
- العلاقة بين العنف اللغوي والعنف السلوكي علاقة متداخلة، حيث يُستخدم الأول لتطبيع العنف وتبريره تمهيدًا لممارسته الفعلية.
- الخطاب الراديكالي لا يُنتج فقط رؤية للعالم، بل **إطارًا إدراكيًا مغلقًا** يجعل المتلقي أسيرًا له، حتى في غياب التفاعل المباشر مع الجماعة الراديكالية.

وفي النهاية، يقرر الباحث أن آفاق البحث في بنية الخطاب الراديكالي والعنف اللغوي مفتوحة على عناوين كبيرة ومهمة منها:

- أثر البنية الإدراكية للخطاب الراديكالي في تشكيل الوعي الجمعي للمجتمعات.
- دور الترجمة والتعريب في انتشار المفاهيم الراديكالية وتحول دلالاتها عبر الثقافات.
- تأثير الوسائط الرقمية على إعادة إنتاج الخطاب الراديكالي ونشر العنف اللغوي.
- استراتيجيات تفكيك الإقناع القسري داخل الخطاب الراديكالي وتحييد أثره.

لائحة المصادر والمراجع:

- إبراهيم، عبد الله، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ص: 117.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية،1952،
- ابن جني، الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،
- ابن حزم، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت،
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، 6تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000،
- أبو الرب، صلاح الدين محمد، السياسة الإسلامية والإسلام السياسي، دار الخليج، الإمارات العربية المتحدة، 2017،
- أحمد، عالم، ثنائية اللغة والأيديولوجيا في ترجمة رواية الأزمة، المجلد:10، العدد:04، ديسمبر 2019، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري- تيزي وزو مخبر الممارسات اللغوية. الجزائر.
- البركاوي، عبد الفتاح، مدخل إلى علم اللغة الحديث، الطبعة الرابعة، 2005،
- البلوشي، صالح عبد الله، الإسلام السياسي وصناعة الخطاب الراديكالي، الانتشار العربي – بيروت، الطبعة الأولى،
- الجراري، فتحي، من أجل استراتيجية عربية لمكافحة التطرف العنيف والفكر المتشدد ومعالجة آثارهما، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2020
- الحيدري، إبراهيم، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2015،
- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420،
- الرضي، محمد بن الحسن الأسترآباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ومعها شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق: جماعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط،
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1418 – 1998
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت،
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- برقاوي، أحمد نسيم، الدين والأيديولوجيا، موقع الزراع، Les Semeurs،
- بوقرة، نعمان، المصطلح اللساني النصي، أعمال ملتقى اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، الجزائر، 243
- ثابت، الطاهر، مداخل في مقاربة مشكلة الإرهاب، قلمون، المجلة السورية للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، السنة 2018 (119-151)،
- جمال، أحمد، الأصولية الجديدة والحداثة: "معالم في الطريق" أنموذجا، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، كلية الآداب، المجلد: 40، يناير - مارس 2012،
- دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية 1985،
- زيادة، معين، الموسوعة الفلسفية الغربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986،
- سالم، عواد محمود عواد، مقدمة في فلسفة الأيديولوجيا ودعوى تطبيقها في العقائد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد: 3، المجلد: 5، 2018،

- طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987،
- طه، المتوكل، بين الدين والايديولوجيا، https://www.maannews.net/articles/991987.html،
- طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار الصباح الكويت، 2005،
- عبيد، مالك، ومحمد، محمود، الأيديولوجيا السياسية: دراسات في الأيديولوجيات السياسية المعاصرة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، الطبعة الأولى، 1425ه
- فوكو، ميشال، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1968،
- قبي، آدم، رؤية حول العنف السياسي، مجلة الباحث، العدد الأول، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2002،
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة: 30، 2001،
- قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة السادسة، 1979،
- منسي، عبد العزيز وعطية، يوسف، خطاب المنهج وفتوحات الإبستيمي في الفكر الفوكوي: مراجعة نقدية، مجلة النص، المجلد العاشر، العدد 01، السنة 2024،
- موهوب، مراد، "لغة العنف وعنف اللغة"، مجلة عالم التربية، العدد:29، 194-183.
- ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2007،
.عشور، عبد الكريم، الراديكالية والتطرف: مقاربة مفاهيمية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ، تاريخ الزيارة: 12 أبريل 2024. https://www.almesbar.net

- *Dantan, Emmanuelle et autre,Quand le système discursif impose: le principe de violence discursive, Congrès Mondial de Linguistique Française - CMLF 2024.*
- *Oxford Advanced Learner's Dictionary of Curent English. AS Hornby Ninth Edition, Editors: Leonie Hey Susanne Holloway Oxford University Pres*
- *Cathy, Caruth, Unclaimed Experience: Trauma and the Possibility of History." Yale French Studies.*
- *Dictionnaire Larousse, Maxipoche editions, Larousse, 2017, P: 1460*
- ***Dowling, Ralph E.** The Rhetorical Genre of Terrorism: Identification and Policy Implications. Paper presented at the Annual Meeting of the Western Speech Communication Association (Denver, CO, February 19-23, 1982),*
- *James C. Gunter, THE RHETORIC OF VIOLENCE, A thesis submitted to the faculty of Brigham Young University in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, Department of English, Brigham Young University. August 2008.*
- *Jones, J. P., Nast, H. J., Roberts, S. M. (1997) Thresholds in feminist geography: difference methodology representation. Lanham: Rowman & Littlefield Publishers. Quand le système discursif impose : le principe de violence discursive*
- *Language is purely human and non-instinctive method of communicating ideas, emotions and desires by means of voluntarily produced symbols. Sapir ،Edward: language, An Introduction to the study of speech, New York , 1922 ..*
- *Rey A. (sous la dir.), Tomi, M., Hordé, T. et Tanet, Ch., A – E. Dictionnaire historique de la langue, française, Tome 1, Paris, Le Robert, 2006 ;*
-*"Radicalism." Vocabulary.com https://www.vocabulary.com/dictionary/radicalism .Accessed 12 Apr. 2024*

79 (1991);

-*Frederick J. Hacker, Crusaders, Criminals, Crazies: Terror and Terrorism in Our Time, (New York: Norton, 1976), passim.*

-*Mine, Benjamin et autres, La Radicalité Verbalisée, Analyse du discours de personnes radicales à Propos de leur engagement et de leur(s) expérience(s) avec les autorités. Nationaal Instituut voor Criminalistiek en Criminologie Institut National de Criminalistique et de Criminologie, Bruxelles*

-*Moïse, C., Oprea, A.(2015). Présentation. Politesse et violence verbale détournée. Semen, 40,1-8*
www.shs-conferences.org/articles/shsconf/pdf/2024/11/shsconf_cmlf2024_01018.pdf